

أحمد أمين عتبة الوعي الاجتماعي في الأدب العربي الحديث

## Ahmed Amin, The Threshold of Social Awareness in Modern Arabic Literature

<sup>1</sup> د. رحال عبد الواحد

<sup>1</sup> جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي، تبسة - الجزائر، abdelouahed.rahall@univ-tebessa.dz

تاريخ النشر: 2023/12/15

تاريخ القبول: 2023/12/14

تاريخ الإرسال: 2023/08/01

### ملخص:

يهدف هذا البحث إلى بيان أن أحمد أمين يمثل الإشارات الأولى الدالة على استقبال الأدب العربي الحديث للمنهج الاجتماعي، وأن الرؤية الاجتماعية للأدب لديه اتكأت على مرجعية غربية أسس لها رواد المنهج الاجتماعي الفرنسي وفي مقدمتهم هيبوليت تين (H. Tain) وسنت بييف (Sainte-Beuve). وخلص البحث إلى أسبقية أحمد أمين في التنظير الاجتماعي من خلال المسائل المطروحة في كتابه (النقد الأدبي)، والتي رسمت مسارات النقد الاجتماعي العربي وجعلت منه علما له أصوله وقواعده. كلمات مفتاحية: المنهج الاجتماعي؛ الأدب؛ المجتمع؛ البيئة؛ الزمان.

### Abstract:

This research aims to demonstrate that Ahmed Amin represents the first indications of the reception of modern Arabic literature to the social approach and that his social vision of literature relied on a Western reference based on the pioneers of the French social approach, primarily H. Tain and Sainte-Bev. The research concluded that Ahmed Amin took precedence in social theorising through the issues raised in his book 'Literary Criticism', which charted the paths of Arab social criticism and made it a science with its origins and rules.

**Keywords:** Social approach; literature; society; environment; time.

## مقدمة:

يمثل النصف الأول من القرن العشرين منعطفًا معرفيًا وحلقة هامة في تاريخ الأدب العربي الحديث، كما يُعتبر حالة تجسير بين ثقافتين نقديتين؛ ثقافة تقوم على التقليد وأخرى تفتتح على الآداب الغربية بما تحمله هذه الآداب من وجهات نظر نقدية وفلسفية، وبما تستبطنه من تيارات ومذاهب تمثل نتاج بيئة حاولت أن تتجاوز بشكل واضح النظرة التقليدية للأدب وللمجتمع وعلاقة هذين الطرفين ببعضهما.

ولا شك أن الناقد والأديب المصري أحمد أمين عاش هذه الفترة الجارحة في سيرورة الأدب العربي الحديث، واستطاع أن يترك أثرًا ما في بلورة رؤية تجديدية (A regenerative Vision) حاولت أن تتجاوز الرؤية التقليدية الموروثة عن أعلام النقد التراثي وذلك من خلال الانفتاح على حصيلة التجارب النقدية التي فرضت نفسها آنذاك على الساحة الثقافية الغربية ثم العربية فيما بعد.

ولعل من أبرز القضايا الفكرية التي استقطبت اهتمام أحمد أمين قضية علاقة الأدب بالمجتمع، وهي قضية اشتغل عليها بعض أعلام النقد الفرنسي من أمثال (سنت بييف) و(هيوليت تين)، وتأتي جهود هذين العلمين في سياق ما يسمى بالنقد الاجتماعي (Social criticism) الذي يعدّ منهجا مكملًا للمنهج التاريخي (Historical method) الذي نشأ في أحضان التفكير الفلسفي، ثم تحول إلى الحقل النقدي بعدما نظّر له الناقد الفرنسي غوستاف لانسون في كتابه (تاريخ الأدب الفرنسي) سنة 1894م.

وإذا كانت رؤية أحمد أمين تلخص في أن الأدب تعبير عن الواقع الذي يعيشه الأديب، وهو في الآن نفسه نتاج البيئة التي عاش فيها هذا الأديب، فبإمكان الدارس أن يدرك بأن هذا الموقف من الأدب والمجتمع هو الأساس الذي بُني عليه المنهج الاجتماعي، حيث الأدب تجسيد لبنية الواقع الاجتماعي، وأن الأدب الجاد مرهون بمعيّار (وعى الأديب) بما يحيط به من ظروف اجتماعية ويمدى استجابته للمؤثرات ثنائية المكان والزمان.

والسؤال الذي يُوّطر حدود هذه الدراسة هو: هل أن الوعي الاجتماعي لدى أحمد أمين يأتي في سياق الرؤية الواقعية الإيديولوجية، (Ideological realism) خصوصا وأن أعلام النقد العربي الحديث كسلامة موسى -مثلا- بنى موقفه النقدي على أساس التنظير الماركسي (Marxist theorizing) الذي انتشر بشكل واسع في البلاد العربية خصوصا في مصر، وكان له تأثير عميق في توجيه المثقف العربي خلال النصف الأول من القرن العشرين؟

وهل ارتبطت الرؤية الاجتماعية للأدب لدى أحمد أمين بأدب الرواية كما بدا ذلك جليا لدى محمد مندور الذي ركّز في نقده الواقعي على هذا الجنس الأدبي؟

إن الإجابة عن هذه التساؤلات توجهها فرضية تقوم أساسا على محورين:

المحور الأول يتعلق بمحتوى كتاب (النقد الأدبي) الصادر سنة 1952م، الذي أثار جملة من القضايا تتوزع على ما هو تراثي وعلى ما هو حديثي.

المحور الثاني ويرتبط بثقافة أحمد أمين في حدّ ذاتها وهي ثقافة تراثية في عمومها، على خلاف محمد مندور الذي تشبّع بالثقافة الفرنسية، مما يحول دون اشتغال أحمد أمين على النقد السردي (Narrative criticism) بحرية وطلاقة، نظرا لارتباط هذا الحقل بمعرفة اللغتين الإنجليزية والفرنسية بوجه خاص، وفي هذا السياق ذهب نجم الدين خلف الله إلى أن أحمد أمين لم يكن يستقصي النظريات الغربية من مصادرها بل من ترجمات محمد النويهي، لأنه لم يكن يتقن اللغات الأجنبية خصوصا الفرنسية والألمانية والروسية التي تضمنت في تلك الفترة أبرز النظريات الجديدة<sup>1</sup>.

ولعله من المفيد أن نشير هنا إلى أن البحث يهدف إلى بيان أن أحمد أمين رغم ثقافته التي يغلب عليها الجانب التراثي وعدم إتقانه اللغات الأجنبية، إلا أنه كان متحمسا للانفتاح على التوجهات الحديثة التي سادت عصره، وحاول بقدر الإمكان أن يؤسس عليها موقفه النقدي، وفي كثير من الأحيان كان من السباقين إلى الإفادة من الثقافة الوافدة ويتعاطى مع أنساقها المعرفية بعيدا عن مضمراها الإيديولوجية.

## 1. الجنس والزمان والمكان:

تناول أحمد أمين أبرز أعمال المنهج الاجتماعي وهما: سنت بيف و هيبوليت تين ، ويبدو أن هذا التناول خضع إلى حدّ بعيد لنظرة إعجاب وثناء، فخلال عرضه لمواقف الناقدين وأفكارهما حول علاقة الأدب بالمجتمع، نجده يُثني صراحة منجزاتهما في مجال النقد الاجتماعي، مما يجعل هذا الطرح المعرفي ينأى بشكل أو بآخر عن موضوعية المعرفة النقدية (Critical knowledge)، ولعل إعجابه هذا كان صادرا عن ذلك "التأثير العظيم الذي تركه سنت بيف على النقد الفرنسي، فلقد كانت أحاديثه منبعا لتيار نقدي هاديّ لين، ولكنه قوي فياض، وكان تين أكبر شخصية نقدية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في فرنسا، والحق أن تين ليس إلا سنت بيف زائدا طريقة أكثر تحديدا وانضباطا"<sup>2</sup>.

وفي تتبعه للمنهج الاجتماعي لدى تين، يؤكد أحمد أمين على أثر الجنس والزمان والمكان في خلق شخصية الأديب ومعرفة أحوال المجتمع من خلال الأدب الذي يعتبر روح العصر ونتاج المجتمع، ودليل ذلك كما يرى أحمد أمين هو وجود صفات مشتركة بين أدباء العصر الواحد فيقول: "وحسبنا أن نقارن بين امرئ القيس ومعاصريه من الشعراء لنعلم مصداق ذلك. ومع الفرق بين زهد أبي العتاهية وخلاعة أبي نواس، فإن المدقق يرى بينهما صفات مشتركة"<sup>3</sup>، ويذهب أحمد أمين إلى تأكيد هذه الرؤية بنظرية هيبوليت تين في مسألة تأثر الأدب بعناصر الجنس والوسط والزمن، شارحا هذه العناصر الثلاثة؛ فالجنس هو ما يرثه الناس من المزاج والنفسية، وبالأوساط المحيطة بهم من مناخ وبيئة وطبيعة، وأحوال سياسية واجتماعية ونحوها. وبالزمن روح العصر أو روح تلك المرحلة المعينة للتطور القومي الذي وصلت إليه الأمة في ذلك العصر"<sup>4</sup>، ثم يشير إلى أن دراسة الأدب ما هي إلا محاولة لربط الظواهر (phenomena) بعضها ببعض، وعلى دارس الأدب أن يمعن النظر في مسألة اختلاف الأدباء وتمايز العصور، ووسيلته في ذلك هي دراسة طرق ووسائل التعبير عن العواطف الكبرى التي يستبطنها الأدب، والأدباء يعبرون عنها بأساليب مختلفة بحسب تباين عصورهم. وفي معرض حديثه عن المنهج الاجتماعي لدى تين يؤكد شوقي ضيف هذا الموقف بأن هناك "ثلاثة قوانين يخضع لها الأدب في كل أمة وهي الجنس والزمان والمكان... فأدباء كل أمة يخضعون لهذه القوانين الثلاثة خضوعا جبريا ملزما... وتلك هي مؤثرات الأدب"<sup>5</sup>، مما يعني أن الأدب يخضع خضوعا حتميا لمؤثرات هذه العناصر.

## 2. أثر البيئة في الشاعر العربي:

ضمن حديثه عن النقد الأدبي في العصر الأموي، يرى أحمد أمين أن هذا النقد ترعرع في ثلاث بيئات وهي الحجاز والعراق والشام، على خلاف بلاد فارس ومصر والمغرب، وقد كان لنشاط الحركة النقدية آنذاك انعكاسا لازدهار الحركة الأدبية، ذلك أن جزيرة العرب هي منبت الشعر والأدب "فكأن الشعر في عهده الأول لم يشأ أن ينمو ويزدهر إلا في أرضه ومنبته، فإذا خرج الشاعر من أرضه اعتقل لسانه أو كاد... ولكن إذا سكن العربي مدينة تخالف طبيعة أرضه كمصر، والمغرب وحراسان لم يتغنّ بشعره إلا قليلا"<sup>6</sup>، وقد لفتت هذه المسألة نظر أحمد أمين ونظر إليها باستغراب يدعو إلى الدرس والتدبر، ولا شك أنه يشير صراحة إلى اعتماد المقاربة الاجتماعية للشعر العربي القديم، وذلك من خلال ربط العلاقة بين شخصية الشاعر العربي وبيئته، حتى يستطيع الدارس الوقوف على مدى تأثير بيئة الجزيرة العربية في فحولة الشعراء وشاعريتهم.

ويرى أحمد أمين أن البيئة/المكان (Milieu) لا تكفي وحدها لبناء شخصية الأديب إلا إذا تضافر تأثيرها مع تأثير الزمان/العصر (Temps) والجنس/العرق (Race) وكل هذه المؤثرات (influences) "تتعاون على خلق شخصية الأديب والشاعر فتنفرغها في قالب معين، ثم تنتج هذه الشخصية أعمالها الأدبية"<sup>7</sup>، وهذا إقرار ضمني يشي بأن دراسة الأديب اجتماعيا تعني بالبداهة دراسة المؤثرات المحيطة به والتي ساهمت بمجموعة في تكوين شخصيته، وهذا ما حدث بالفعل مع هيبوليت تين حينما عمد إلى دراسة الأدب الإنجليزي وجعله حقلا لتطبيق نظريته الاجتماعية، فقد تناول بالدراسة الجنس الإنجليزي بصورة جعلته يكون فكرة عنه، ثم عمد بعد ذلك إلى دراسة الظروف الزمانية والمكانية التي أحاطت بكل أديب وشاعر، ليؤكد في الأخير أن هذا الأديب ليس إلا نتاج تلك المؤثرات.

### 3. الالتزام في الأدب:

إن مسألة الالتزام (Commitment) من أبرز المسائل المطروحة في سياق الرؤية الاجتماعية للأدب وعلاقة الأديب بمجتمعه، وأحمد أمين تناول هذه المسألة لكن ليس في سياق المعرفة الإيديولوجية (ideological knowledge) التي تشبّع بها أعلام الواقعية العربية من الذين تغدّوا من فلسفة الواقعية الاشتراكية أمثال سلامة موسى، ومحمد مندور، ومحمود تيمور، فقد كانت رؤية أحمد أمين فنية خالصة، ذلك أنه طرح موقفه من مسألة الالتزام انطلاقا من مقارنة مقولة (الفن للفن).

ويمكن تعريف الأدب الملتزم (Committed Literature) على أنه نصح يتخذه الأديب أو الفنان للدفاع عن وجهة نظر أخلاقية أو سياسية أو اجتماعية أو إيديولوجية أو دينية وتأكيدا غالبا من خلال أعماله<sup>8</sup>. ويرى ناجي علوش أن "الالتزام يعني أن الأدباء والفنانين لا يعيشون خارج حركة مجتمعهم بل داخلها، ولا يهربون من الواقع إلى التجريد، بل يهربون من التجريد إلى الواقع. وأنهم يلتزمون هذا الصراع بجانب حركة التقدم"<sup>9</sup>، والملاحظ أن هناك بعض النقاد والأدباء العرب تبنا هذا المبدأ بصراحة في دراساتهم النقدية أمثال محمود أمين العالم، وعبد العظيم أنيس، وخصوصا سلامة موسى عندما وظف عبارة (الأدب في خدمة المجتمع)، والتي أثارت حوله زوبعة قوية<sup>10</sup>، وقد رأى الالتزام في الأدب يعني الكتابة عن الشعب بلغة الشعب، وهذا الموقف كان بمثابة الثورة على أدباء مصر الرومانسيين، وقد ذكر أن "الأديب الإنجليزي يتصل بالحياة،

ويتأثر بها ويؤثر فيها، وهو ينتقد أسلوب العيش أكثر مما ينتقد أسلوب الكتابة"<sup>11</sup>، ومن هنا جعل الالتزام بمثابة التجديد ليس للأدب فحسب بل للحياة بصورة عامة.

وإذا كان النقد الاجتماعي يدعو إلى مبدأ الالتزام في الأدب معتبرا إياه ردة فعل على الإغراق في الخيال الرومانسي، والهروب من الواقع، والانزواء في الأبراج العاجية بعيدا عن هموم المجتمع، فإن هذا المبدأ ترسخ بشكل واضح مع ظهور الرؤية الماركسية الداعية إلى الاشتغال على قضايا الطبقة العمالية والاهتمام بها، ومن هنا يتخذ هذا المبدأ بعدا اقتصاديا خالصا.

وأحمد أمين تناول هذه المسألة انطلاقا من موقفه تجاه الأدب وقضايا المجتمع العربي الحديث، حيث نادى بضرورة تسخير الأدب للحياة، وجعل الفن للمجتمع بدل الفن للفن حيث يقول: "وبحث علماء الاجتماع مثلا في أن الأديب هل ينبغي أن يوجه أدبه إلى خير مجتمعه أو هو غير مقيد بقيد، بل يترك نفسه تتجه كما تشاء من غير قيد ولا شرط وهو ما يعبرون عنه بـ (الفن للفن)"<sup>12</sup>، ولا شك أن هذا التساؤل الذي يطرحه أحمد أمين يشي بموقف صريح بخصوص ما يتعلق بوظيفة الأدب، وكأنه يرفض ضمينا مقولة الفن للفن ( Art Of Art) التي روج لها المذهب البرناسي (Parnassianism) وهو "مذهب أدبي فلسفي لا ديني قام على معارضة الرومانسية من حيث أنها مذهب الذاتية في الشعر، وعرض عواطف الفرد الخاصة على الناس شعرا واتخاذ وسيلة للتعبير عن الذات، بينما تقوم البرناسية على اعتبار الفن غاية في ذاته"<sup>13</sup>، مما يعني أن الفن قيمة تطلب لذاتها وهو غاية في حد ذاته وليس وسيلة<sup>14</sup>، إلا أن أحمد أمين له موقف مغاير لهذا السياق الذي خطط له دعاء الفن للفن، حيث يرى بأن الفن ينبغي أن يمثل حياة الإنسان، ويلهمه المعاني الشريفة ويكون وسيلة لمقاومة الشرور.

إن وظيفة الأدب الخالص في نظر أحمد أمين تسمو عن الترويح عن النفس، لتقترب أكثر فأكثر من رحاب الواقعية الجادة، فالفنون كما يرى "لم ترسل إلى هذا العالم لتلهو وترقص، أما الأدب فإذا ظل متبعا للروحانية والتعاليم النفسانية فيها، وأما إذا استحال إلى مجرد متعة نفسية ولذة روحية فإنه يكون شيئا لا فائدة منه ولا أمل فيه"<sup>15</sup>، وهذا الموقف لا شك يجرد الأدب من وظيفة الإمتاع حتى لا يكون تأثيره آتيا، بل ينبغي أن ينفذ إلى أعماق النفس ويجيب عن انتظاراتها ويتعاطى مع هواجسها، لكي يصنع لنفسه جمهورا من القراء على مرّ الأزمان واختلاف الأمكنة ليضمن لنفسه الخلود والبقاء من خلال المشاركة الوجدانية التي ينفع بها المجتمع من جهة، وينفع الأدب بقضايا المجتمع من جهة ثانية، وعبر هذه الجدلية يمكن أن تضيق

الهوة بين الأديب والقارئ، ويكون الأديب قد حقق نوعا من الالتزام ليس تجاه المجتمع والقارئ فحسب بل تجاه أدبه بالدرجة الأولى، لأن السعي وراء امتاع القارئ قد يكون منزلقا خطيرا يساهم في تلاشي الأدب واضمحلاله.

#### 4. البيئة المكانية وتفسير الحياة:

السؤال الذي يمكن طرحه في هذا المقام هو: هل تؤثر البيئة في العمل الأدبي؟ وهل يمكن أن نعزل النص الأدبي عن سياقاته الاجتماعية والثقافية والسياسية؟

إن الطرح الذي يقدمه لنا أحمد أمين في هذا السياق، يعطينا صورة واضحة عن دور الأدب في الكشف عن حياة الأديب بحياتها الثقافية والنفسية والاجتماعية والسياسية، وهذا لا شكّ يفصح عن جدلية التعالق بين الأدب وبيئة الأديب الخاصة.

وإذا كان المنهج الاجتماعي يؤكد مقولة: الأدب صورة للمجتمع، وانعكاس للواقع، والأديب ابن بيئته، فإن أحمد أمين يشير إلى هذا المعنى بقوله: " الفن يصدر من الحياة ويغذي الحياة، وإذن فلا يمكن أن يهمل مسؤولياته تجاه الحياة"<sup>16</sup>، ولا شك أن هذه العبارة تحيلنا بشكل مباشر إلى مفهوم الالتزام في الأدب والذي يعني حالة التداخل والتفاعل بين الأدب والحياة، وأن الالتزام هو نتاج الارتباط الوثيق بين الأديب وبيئته. وإذا كان ليس بالإمكان أن نعزل الأديب عن بيئته، فعلى الأديب أيضا ألا يتخلى عن واجبه الأخلاقي تجاه البيئة التي يعيش فيها.

وإذا كانت جدلية العلاقة بين بيئة الأديب ومنجزه الأدبي تكشف لنا عن الخصوصية المحلية، فإنها -إلى جانب ذلك- تحدّد لنا خصائص الحياة الاجتماعية بمنطلقاتها المتباينة والمختلفة.

ويرى أحمد أمين أن الحياة تحضر بقوة في بعض الأعمال الأدبية كالدراما والرواية لأنهما الأقدر على نقد الحياة، ومن خلالهما تظهر قدرة الأديب على استثمار بيئته ومعطيات مجتمعه وتوظيفهما بصورة تمنح العمل الأدبي خصوصياته الفلسفية تجاه الحياة، وإذا كانت الدراما -كما يرى أحمد أمين- " نقد للحياة أو فلسفة عن الحياة"<sup>17</sup>، وتفسّر الحياة من خلال عرضها، فإن " الروائي يستطيع أن يفسّر الحياة بكلتا الطريقتين: بعرضها وتعليقاته الشخصية عليها"<sup>18</sup>، ولا شك أن أحمد أمين يعطينا صورة واضحة عن طبيعة الأدب السردي بشكل عام والرواية بشكل خاص، من خلال الإشارة إلى مضمونها الاجتماعي الذي يدفع الكاتب إلى الإحساس بواجبه تجاه الواقع ( الحياة) انطلاقا من "أن ميدان الفن هو الحياة كلها، والمشاعر كلها،

والملاحظة كلها، والرؤيا كلها وأن الرواية هي صورة للحياة... بمعنى أن مهمة الرواية هي إبراز الحياة في الصورة الفنية التامة<sup>19</sup>، والحياة التي نعنيها هنا هي حياة المجتمع الذي يعيش فيه الكاتب، لأن هذا المجتمع هو الذي يمثل مصدر أفكاره ورؤاه، كما يمثل المتكأ المرجعي الذي يؤسس عليه متخيله الروائي، فلا يعقل - على سبيل المثال - أن يكتب الأديب عن مجتمع لا يعرفه ولم يسبر أغواره، كما لا يمكن لكاتب ترعرع في بيئة صحراوية أن يوفق في مكاشفة التفاصيل الدقيقة لمجتمع حضري يختلف عن بيئته الحقيقية، ولعل تفسير حياة المجتمع الصحراوي في هذا السياق يأتي في إطار ما يسمى بـ (أصالة الخطاب الروائي) هذه الأصالة التي لا تعني انسجام النص الروائي مع اللحظة الراهنة فحسب، بل تعني أيضا الاشتغال على الطابع المحلي مثلما نجد لدى الكاتب الليبي إبراهيم الكوني الذي لم تتخط كتاباته حدود مجتمع الطوارق بعاداته، وتقاليده، وأساطيره وتاريخه، ومنتجه الرمزي.

### 5. الأدب والملاءمة:

يتناول أحمد أمين علاقة الأدب بالبيئة بصورة شاملة ودقيقة، وهذه المسألة عبّر عنها بمصطلح الملاءمة (suitability)، ويعني به تلاؤم الأدب مع الظروف الثقافية والاجتماعية للعصر، وهذا التلاؤم يتطلب التجديد في الأدب من حيث الأساليب والموضوعات ومن حيث الرؤى والأفكار أيضا. فالكاتب الذي يقي على مكتسباته الثقافية والمعرفية دون إراثها، لا يمكنه بأي حال من الأحوال أن يجيب عن انتظارات مجتمعه التي تعبّر عن تطور الأنماط الثقافية لهذا المجتمع، فالمجتمعات تتسم بحركيتها وتطورها، وإذا كان الأديب يشعر بالمسؤولية تجاه هذا المجتمع، فما عليه إلا أن يطور أدبه وأن يبت فيه روحا جديدة كل حين حتى يتلاءم مع ظروف العصر.

والتعبير الفعلي عن المجتمع لا يعني بالضرورة حصر هذا الأدب في حدود الصورة السكونية للواقع، إنما يعني مواكبة الأديب لتطلعات المجتمع حتى تصير علاقة الأدب بالمجتمع علاقة تلاؤم وانسجام، بدل أن تكون علاقة تنافر وتدافع، ومن هنا ينبغي للأدب أن "يلائم ويعبّر عن تقليد الساعة ويتناول الأشياء التي يفكر فيها الناس ويتحدثون عنها"<sup>20</sup>، لأن الالتزام بالأحداث الماضية التي عاشها المجتمع قد يكون من الأسباب التي تحول دون خلود الأثر الأدبي، لهذا كان على الأديب واجب السعي إلى تطوير أدبه وتجديده حتى يضمن له التلاؤم مع الظروف الثقافية والاجتماعية الجديدة في المجتمع.

وإذا كان أحمد أمين -وهو بصدد الحديث عن علاقة الأدب ببيئة الأديب- يقصد بالملاءمة ربط الأدب براهن العصر وسياقات المجتمع وتطلعاته، فإن ذلك يحيلنا إلى مسألة أثارت جدلاً واسعاً بين الأدباء والمفكرين في العصر الحديث وهي مسألة الصراع بين الجديد والقديم، ولعل أحمد أمين من خلال وعيه الاجتماعي هذا يردّ على أنصار القديم الذي لم يعد يستهوي الكثير من قراء عصره، و"الكتاب الذي يمتع عامة كثيرين يفعل ذلك لأنه يصيب الوتر الحساس من الذوق العام"<sup>21</sup>، أليس في ذلك دعوة من أحمد أمين إلى ضرورة خلق تيارات أدبية تمكّن الأدب من القدرة على تجديد نفسه، وتحقيق التلاؤم مع السياقات الثقافية والاجتماعية للعصر؟

لا شك أن أحمد أمين بهذا الموقف يطالب بتجديد الأدب العربي في عصره، "كما كان يتجدد في العصور القديمة، وكانوا يقولون إن الأدب العربي أدب حيّ، وما دام أدباً حياً فلا ينبغي أن يجمد ولا أن يثبت على حال من الأحوال، وإنما يجب أن ينتقل من طور إلى طور، وأن يتبدل من حياة إلى حياة، كما تتغير الحياة نفسها وكما تتغير الظروف المحيطة بالناس في حياتهم"<sup>22</sup>، وإذا كان طه حسين يتفق في هذا الموقف مع أحمد أمين، فإن عباس محمود العقاد بدوره اعتبر ظهور المذهب الرومانسي (الذي يمثل الحداثة الأدبية آنذاك) بمثابة الفتح، وأن ظهوره هو استجابة لسياقات العصر كله خصوصاً وأن النصف الأول من القرن العشرين كان يمثل مرحلة انفتاح على الآداب الأوروبية بما تستبطنه هذه الآداب من توجهات وأفكار، وفلسفات تسعى إلى تحقيق الانسجام مع مستجدات العصر.

إن الملاءمة التي تضمن للأثر الأدبي خلوده - على حدّ تعبير أحمد أمين- لا ينبغي أن تتسم بالظرفية، بمعنى ألاّ يلائم الأدب ظروفًا اجتماعية آتية وطارئة، لأن هذا الأدب سيضمحل بمجرد زوال تلك الظروف، ويفقد الأدب وهجه.

لذلك فإن الملاءمة التي تحقق النجاح الظرفي للأدب "قد لا تكون سوى ملاءمة لظروف محلية فانية، فإذا كان كذلك فإنه حين ينقضي الظرف وحين لا تعود هذه الأشياء التي كان الناس يفكرون فيها ويتحدثون عنها في ذلك الوقت، أقول لا تعود تشوقهم وتلذهم، حينئذ يفنى الكتاب، فلا يعودون يقرأونه"<sup>23</sup>، أما الملاءمة التي تضمن خلود الأثر الأدبي فلا يموت بمجرد موت تلك الظروف، هي ملاءمة الأدب لمطالب تستبطن أسباب القوة رغم التحولات التي تطرأ على الذائقة الجمعية، مثلما تطرأ على ظروف المجتمع وتقاليدِهِ وحتى على الجانب الحضاري لهذا المجتمع كما يرى أحمد أمين، لأن هذه المطالب قادرة على الملاءمة المستمرة

والمتمجدة للظروف المتطورة في حياة المجتمع الخلقية والفكرية، ويمكن للدارس أن يتساءل عن سرّ هذا البقاء، فيجبنا أحمد أمين بأن " فيها عناصر تظلّ تحتفظ بقوتها على الإمتاع والإثارة والإيحاء بعد أن فنيت تلك المطالب... لأن الأدب الذي يبقى على كل تغيرات العرف والذوق والحضارة يفعل ذلك لا لأنه يلائم بين نفسه وبين الظروف الجديدة في الحياة والفكر والقول، وإنما في إنشائه الأساسي قد كان منذ البدء ملائما لما هو أولي وبدائي ورئيسي في الطبيعة الإنسانية والتجربة الإنسانية، ولذلك فهو ملائم لشروط تبقى وتستمر مستقلة عن المكان والزمان"<sup>24</sup>، والسؤال المطروح: ماهي هذه الظروف التي يمكن أن تنفصل عن الزمان والمكان؟

كأن أحمد أمين من خلال هذه الرؤية لا يريد أن يربط علاقة الأدب بالمجتمع من خلال قضايا الفكر والثقافة والسياسة لأنها قضايا متحولة ومتجددة، إنما يدعو إلى ربط العلاقة بين الأدب والمجتمع من خلال ما يفرزه هذا الأدب من عناصر جمالية (Aesthetic) متعلقة بالإلهام (inspiration)، لأن هذه العناصر نابعة من طبيعة الأدب في حدّ ذاته ولا يمكن أن تتحول لأنها تتصل بفطرة الإنسان أيضا. ومن بين هذه العناصر الجمالية التي يتكون منها الأدب وتسهم في خلوده هو عنصر العاطفة (Emotion) وهو العنصر الذي يتفاعل من خلاله الأديب مع وقائع بيئته وأحداث مجتمعه، وهذا التفاعل يترك أثرا على مستوى مشاعر الأديب وانفعالاته، ويحاول هو بدوره نقل هذه الأحاسيس إلى القراء، ويتفاوت هذا التأثير بحسب صدق العاطفة وقوتها وهما اللذان يضمنان خلود الأدب (immortality of literature)، " ومعيار القيمة في هذه العاطفة هو صدقها"<sup>25</sup> وكلما كانت العاطفة صادقة كانت أكثر تأثيرا وبذلك يستمر تأثيرها في الأجيال على مر العصور، لأن العاطفة البشرية فطرية ولا يمكن أن تتغير بتغير الأحوال والظروف، وبالإمكان هنا أن نذكر شعر الخنساء الذي ما زال إلى اليوم يبعث في القراء مشاعر الحزن والألم لأنه يعبر عن عاطفة صادقة نابعة من حزن أخت لموت أخيها " وهذه العاطفة هي التي تمنح الأدب الصفة التي نسميها الخلود"<sup>26</sup>، من هنا يتأكد لنا أن أحمد أمين لا يكتفي بربط الأدب بالمجتمع من خلال القضايا الفكرية والثقافية، إنما يضيف إلى ذلك العنصر الجمالي الذي يستبطن سرّ بقاء الأدب وخلوده، وهذا ما يقصده بمصطلح (الملاءمة).

## 6. الإنتاج الأدبي والمادية الديالكتيكية:

حاول أحمد أمين تشكيل رؤية جمالية في تأصيل الانتاج الأدبي، وذلك من خلال رصد حركة الإبداع وتناغمها مع المنطلقات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية للمجتمع الإنساني، كون هذا الإبداع لا يعدو أن يكون ترجمة الإنسان للوجود الاجتماعي، فيتحدث عن الإرهاصات الأولى لظهور الأدب وأسبابه، ويفسر هذه الظاهرة تفسيراً اقتصادياً وفق رؤية عامة يكاد يتردد فيها صدى النظرية الاقتصادية الماركسية على استحياء، إذ يرى بأنه "فكلما توافر الغذاء وسهلت أسبابه، أصبح المجتمع قوة منظمة، وأخذ يسعى -وقد استتب له النظام والطمأنينة- نحو الرقي الأدبي"<sup>27</sup>، ففي المجتمعات البدائية لم يكن النظام الاجتماعي مستقراً وكان الإنسان الأول يعيش تائهاً في الأدغال البراري بحثاً عن الطرائد، ولم يتعد الأدب آنذاك مجرد ترديد لأغنيات بسيطة وقصص خرافية حول الآلهة ومظاهر الطبيعة المختلفة، ولما تحولت حياة الإنسان البدائي من مرحلة الصيد إلى مرحلة الرعي وأمن مصدر غذائه، عندئذ شعر بالاستقرار وصرف وقت فراغه في التفكير والأدب، وكان من الطبيعي أن يستولي أقوياء القبيلة على مصادر الغذاء الذي مكّنهم من الاستحواذ على مقاليد السلطة "هذا النظام الاقتصادي وما يتولد عنه من نظام سياسي، ينعكس تأثيرهما على الأدب الشفوي للقبيلة... فترى الأدب الذي يزدهر في مثل تلك المرحلة شعراً حماسياً يشيد بالخلال التي يتحلى بها رئيس القبيلة المسيطر على المجتمع، أو بمزايا القبيلة نفسها، أو بهجاء من عاداها من أفراد وقبائل أو نحو ذلك"<sup>28</sup> ولما يظهر نظام الحكم المطلق ينقسم المجتمع إلى ملوك أثرياء وقادة أقوياء وطبقة العامة، وينبهي أصحاب الملكات التعبيرية يتغنون بقداسة الآلهة ومجد الملوك والأبطال الذين بنوا نظام الحكم، مما يعني أن الأدب "المتمثل في الترانيم والملاحم ليس إلا مجرد ظاهرة اجتماعية أنتجتها الظروف المادية"<sup>29</sup> للمجتمع.

إن تنوع المجتمع من حيث مصادر الغذاء والثروة، وتعدد الأسواق، والتعاملات مع المجتمعات الأجنبية ومن حيث النزاعات، ووجود القانون، كل هذه عوامل تساعد على توسيع تجارب المجتمع وتفتيق مداركه الفكرية وتنوع مطالبه وإذ "تنوع حاجات الناس وتعدد مطالبهم تتعدد كذلك أشكال الأدب"<sup>30</sup> ثم يشير أحمد أمين إلى المجتمع اليوناني كنموذج للمجتمع المدني المتحضر (Civil society)، إذ أنه ومن "المعروف أن الأدب اليوناني القديم، في تطوره، يعدّ صورة صادقة ورائعة لتطور المجتمع اليوناني نفسه، تطوره من حيث المعيشة والمعتقدات والعادات الاجتماعية"<sup>31</sup> وهو المجتمع المدني الأول الذي عرف أدب المسرح والملحمة وهو ما تقتضيه الحاجة إلى التعبير عن الموضوعات السياسية والدينية، والأساطير، والخرافات، والحروب وحكايات السحر عن طريق أنواع أدبية مختلفة كالشعر الغنائي والشعر القصصي والخطابة .

ويصل بنا أحمد أمين إلى ما يسميه بالمجتمع الديمقراطي (democratic society) حيث برزت إلى الوجود أفكار ومخترعات وصناعات أفرزت أوضاعاً أدبية جديدة ومتنوعة تعنى بالذات الفردية، وتعبّر عن روح التسامح والحرية والديمقراطية وتنادي بتغيير الأوضاع باستعمال النثر الفني الذي يدل على ارتقاء العقل وتطور التفكير البشري وإذا كانت " القيم الروحية الحقيقية لا يمكن فصلها، في الواقع، عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي"<sup>32</sup>، فإن هذا الواقع أفرز اتجاهات جديدة في فن التعبير " كالنثر المسرحي، وكتب الرحلات، والنقد الأدبي، والرواية الواقعية، والقصة الغرامية والتاريخية، وتوسعت هذه الكتابات حتى احتل النثر أعظم مكان في عالم الأدب في القرن الحاضر"<sup>33</sup>.

وهكذا يشير أحمد أمين إلى أن الإنسان عرف الأدب قبل أن يعرف الكتابة، وإن كان المقصود بالأدب هنا هو وسيلة التعبير الفني التي يقتضيها واقع المجتمع وطبيعة الحياة، ولم يفصل أحمد أمين مفهوم الأدب كتعبير لساني (tongue expression) عن الأنواع الفنية الأخرى كالرقص والغناء اللذين كانا يمثلان وسيلة التعبير الأساس لدى هذا الإنسان البدائي، ذلك لأن لدى هذا الإنسان فنونه البدائية، ثم لما ظهرت الحضارة في شكلها المتعارف عليه تاريخياً، عرفت تلك الفنون نوعاً من التراجع أمام ظهور فنون التعبير الأخرى وفي مقدمتها الأدب.<sup>34</sup> وتأكيداً لما سبق فإن لوسيان غولدمان يذهب إلى أن سوسولوجيا الفكر تؤكد على أن الحياة الاجتماعية تؤثر على الإبداع الأدبي، وهذا أيضاً - كما يرى - افتراض أساسي للمادية الديالكتيكية والتي تركز بشكل خاص على أهمية العوامل الاقتصادية والعلاقات بين الطبقات الاجتماعية<sup>35</sup>.

من خلال ما سبق يبدو أن الصدى الماركسي في رؤية أحمد أمين حول نشأة الأدب وتطوره يبدو

واضحاً، إلا أن هذه الرؤية جاءت مفرغة من الاهتمام بالإيديولوجيا السياسية ( political

ideology)، ولم تتجلى في هذه المقاربة كعقيدة مثلما تجلت في مقاربات الماركسيين العرب من أعلام

الأدب العربي الحديث.

**خاتمة:**

من خلال ما سبق توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- إذا لم يكن أحمد أمين من الذين نظّروا للمنهج الاجتماعي في الأدب العربي وفق الرؤية الماركسية كما فعل سلامة موسى، إلا أنه من الأوائل الذين تشبّعوا بالوعي الاجتماعي، فكانت كتاباته طريقاً إلى تعريف القارئ العربي بهذا المنهج الغربي.

- تناول أحمد أمين المنهج الاجتماعي من خلال قانون (الجنس والزمان والمكان) وحاول استثمار هذا القانون في دراسته للشعر العربي القديم.
- لم يكن اشتغال أحمد أمين على مقولات المنهج الاجتماعي بما فيه من حملاته إيديولوجية كما فعل سلامة موسى ومحمد مندور، إنما طغت على هذا الاشتغال رؤية فنية استوعبت وعيا اجتماعيا دون التعمق في تفصيلات المنهج ونظرياته الفلسفية.
- مسألة الالتزام من أبرز المسائل التي تأسس عليها الوعي الاجتماعي لدى أحمد أمين، حينما ربط الأدب بالمجتمع مع تجريد هذه المسألة من تصورات الفلسفة الماركسية.
- استعان أحمد أمين بمقولة أثر البيئة في الأدب، واستنتج أن أرض الحجاز كانت بيئة ملائمة لخلق شاعرية الشاعر العربي القديم.
- ذكر أحمد أمين أن العلاقة الجدلية بين الأدب والمجتمع هي السبيل إلى معرفة الحياة وتفسيرها والإفصاح عن الخصوصية المحلية للأدب وللأديب.
- أكد أحمد أمين أن التزام الأديب بالقضايا الفكرية، والثقافية، والاجتماعية عائقا أمام خلود الأثر الأدبي، لأن الأدب يزول بزوال هذه القضايا الآتية، وتأثيره في فئة القراء يكون مؤقتا.
- رأى أحمد أمين أن العاطفة من العناصر الجمالية التي تربط الأدب بالمجتمع، وهي تضمن خلود الأدب لأنها عنصر فطري في الإنسان، ولا تتغير بتغير الأحداث، وعليه فإن تأثيرها يستمر على مرّ الزمن والأجيال.

### الهوامش والإحالات:

1- ينظر، نجم الدين خلف الله، النقد الأدبي لأحمد أمين بدايات حديثة لفن قلم، العربي الجديد، موقع الإنترنت

[/https://www.alaraby.co.uk/culture](https://www.alaraby.co.uk/culture)

2- أحمد أمين، النقد الأدبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د.ط)، القاهرة، 2012، ص312.

3- المصدر نفسه، ص 18.

4- المصدر نفسه، ص 18.

5- شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، (ط01)، مصر، 1960، ص12.

6- أحمد أمين، النقد الأدبي، ص 321.

7- المصدر نفسه، ص 322.

- 9- ناجي علوش، من قضايا التجديد والالتزام في الأدب العربي، الدار العربية للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 1978، ص18.
- 10- ينظر، سلامة موسى: الأدب للشعب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة-مصر 2012، ص07.
- 11- المصدر نفسه، ص07.
- 12- أحمد أمين: النقد الأدبي، ص 15.
- 13- مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المجلد02، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الرياض، (ط04)، 1420هـ، ص 881.
- 14- ينظر، علي شناوة وادي، فلسفة الفن وعلم الجمال، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، (د.ط)، 2011، ص47، 48.
- 15- أحمد أمين، النقد الأدبي، ص 331.
- 16- المصدر نفسه، ص 117.
- 17- المصدر نفسه، ص147.
- 18- المصدر نفسه، ص147.
- 19- سيد حامد النساج،..فتناً أدبياً، مجلة الفيصل، جدّة- المملكة العربية السعودية، العدد، 38، حزيران (يونيو)، 1980، ص24.
- 20- المصدر نفسه، ص185.
- 21- المصدر نفسه، ص185.
- 22- طه حسين، أدبنا الحديث ما له وما عليهن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د.ط)، القاهرة، 2014، ص16.
- 23- المصدر نفسه، ص185.
- 24- المصدر نفسه، ص185.
- 25 - أحمد كمال زكي، النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، مصر، 1972، ص51.
- 26- أحمد أمين، النقد الأدبي، ص29.
- 27 - أحمد أمين و زكي نجيب محمود، قصة الأدب في العالم، ج01، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (د.ط)، 1943، ص12.
- 28 - المصدر نفسه، ص12، 13.
- 29 - المصدر نفسه، ص13.
- 30 - المصدر نفسه، ص14.
- 31 - محمد كمال الدين يوسف، الأدب والمجتمع، وكالة الصحافة العربية (ناشرون)، (ط01)، مصر، 2023، ص110.
- 32 - Lucien Goldmann, Dialectical materialism and literary history, New Left Review92 :
- Gutenberg to the Celestial Jukebox. New York, 1975, pp. 39-51.
- 33 - ينظر، أحمد أمين و زكي نجيب محمود، قصة الأدب في العالم، ص19.

34 - ينظر، مصطفى شاذلي، التراث اللغوي الشفاهي هوية وتواصل، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، (ط01)، 2005، ص 23.

35 - Lucien Goldmann, Dialectical materialism and literary history, pp. 39-51.

### قائمة المصادر والمراجع:

#### الكتب:

- 1- أحمد أمين، النقد الأدبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د.ط)، مدينة نصر-مصر، 2012.
- 2- أحمد أمين و زكي نجيب محمود، قصة الأدب في العالم، ج01، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (د.ط)، القاهرة، 1943.
- 3- أحمد كمال زكي، النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، مصر، 1972.
- 4- سلامة موسى، الأدب للشعب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د.ط)، القاهرة-مصر 2012.
- 6- شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، (ط01) مصر، 1960.
- 7- طه حسين، أدبنا الحديث ما له وما عليهن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د.ط)، القاهرة-مصر، 2014.
- 8- على شناوة وادي، فلسفة الفن وعلم الجمال، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، (د.ط)، 2011.
- 9- مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المجلد2، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، (ط04)، الرياض، 1420هـ.
- 10- محمد كمال الدين يوسف، الأدب والمجتمع، وكالة الصحافة العربية (ناشرون)، (ط01)، مصر، 2023.
- 11- مصطفى شاذلي، لتراث اللغوي الشفاهي هوية وتواصل، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، (ط01)، الدار البيضاء، 2005.
- 12- ناجي علوش، من قضايا التجديد والالتزام في الأدب العربي، الدار العربية للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 1978.
- 13- Lucien Goldmann. Dialectical materialism and literary history, New Left Review92, Gutenberg to the Celestial Jukebox, New York, 1975.

#### المجلات:

- 1- سيد حامد النساج، .. فنًا أدبيًا، الفيصل، جدّة، العدد، 38، حزيران (يونيو)، 1980.
- 2- Tony Crowley, Commitment, Key Words : A Journal of Cultural Materialism No.16, pub. Raymond Williams Society 2018.

#### موقع الإنترنت:

[/https://www.alaraby.co.uk/culture](https://www.alaraby.co.uk/culture)